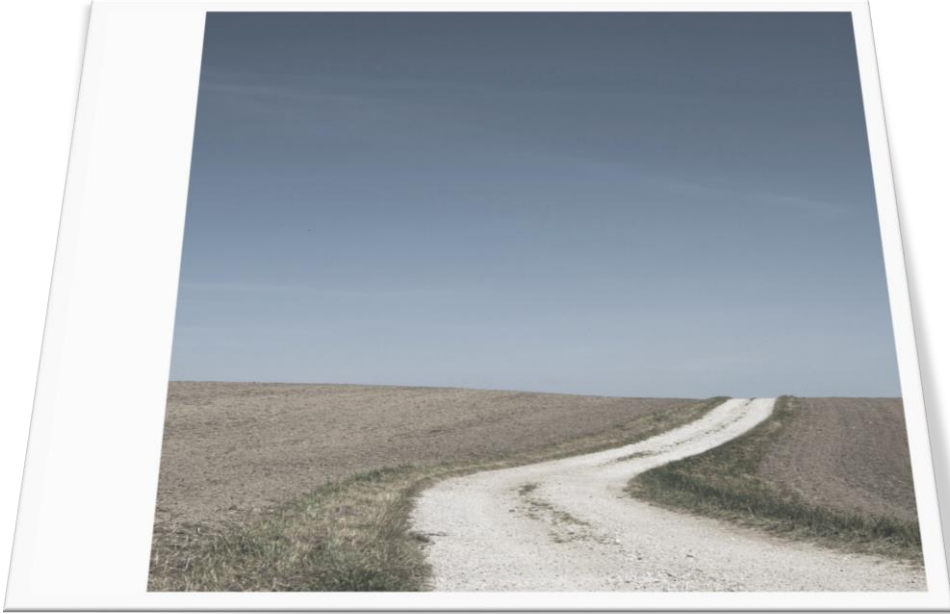


رحلة أخيرة ستحين قريباً



أيفا

دنيا البوزيدي

إيفا

دنيا البوزيدي

(شذرات)

طبقاً لقوانين الملكية الفكرية

يُحظر نقل أو نسخ أو بيع المصنف بالكامل أو أي جزء من أجزائه وبثه إلكترونياً (للمكتبات الإلكترونية أو الأقراص المدمجة أو أي وسيلة أخرى) ، دون الحصول على إذن كتابي من المؤلف.

مقدمة

ارتأينا أنه لزاماً علينا تقديم تعريف موجز حول الفن الأدبي المتبع في طيات هذا الكتاب -ألا وهو فن الشذرة أو الكتابة المقطعية ، و يطلق عليه كذلك اسم (فن الخلود) ، جاءت هذه التسمية الأخيرة لما ذاع عن هذا النوع الأدبي من اتصاله بالمستقبل أكثر مما هو في الحاضر ، فيقول الناقد الألماني فريدريك شليغل أنه " فن يُحاطب المستقبل و الأجيال القادمة ، و يظل معاصريه عاجزين في معظم الأحيان عن فهمه و تقبله".

ظهر لأول مرة حين استعصى على المؤرخين جمع أعمال فلاسفة اليونان كاملة ، فقاموا عوضاً عن ذلك بجمعها على هيئة أجزاء مقسمة - كأعمال الفيلسوف الإغريقي هيرقليطس. و لكن كان أول من استحدثه كفن مستقل هو الفيلسوف الألماني "فريدريك نيتشه" في مؤلفاته ذات الطابع الأدبي - الفلسفي. الشذرة فن

مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالفلسفة لما كان لها من فضل على وجوده أولاً و شيوخه بين الفلاسفة أكثر من غيرهم ثانياً . وقد كتب العديد من الفلاسفة الغربيين بالشذرات أمثال إميل سيوران ، جان جاك رسو ، باسكال ، و طبعاً نيتشه ، كان في البدء حكراً على الفلاسفة لتدوين آرائهم الفلسفية فحسب ، بيد أنه شاع لاحقاً – أي عقب القرن التاسع عشر – بين الأدباء أمثال الأديب البرتغالي فرناندو ميسوا ، و من هنا صُنِّفَ هذا الفن باعتباره (أديباً – فلسفياً).

على الرغم من استقلال هذا الفن و احتلاله مكانة عالمية تُعد هامة في الدول الغربية ، إلا أنه يتصف بالندرة في عالمنا الشرقي ، فلا وجود للكثير ممن كتبوه بين العرب سواء أكانوا فلاسفة أم أدباء ، و إن كان نادرًا في الدول العربية عامةً فهو شبه غائب تمامًا عن الأدب في ليبيا – و قد كان هذا أحد الأسباب التي دفعتني للكتابة به ، فلا بد من وجود إعمالاً معاصرة – على الأقل – لتمحو هذا الغياب اللامعقول.

إيفا | دنيا البوزيدي

دنيا البوزيدي

4 / 6 / 2017 م.

لم يكن ثمة وحي أو باعث معين ، كل ما في الأمر أنّي وددتُ لو
أروي أشياء ليس بمقدوري البوح بها لأيّا كان - و انتهيت
باكتشاف إيضا ، قد تكون شاعرة أو كاتبة ، لربما هي قاتلة أو
راهبة ، ولعلّها لا شيء على الإطلاق ، لكنّها تتلاءم و جزء ما في
أعماقني .. جزءًا أتلذذ كثيرًا بالحديث معه.

السر ليس في الكلمات .. ليس في الكلمات ، وإنما في الكيفية التي
نصوغُها بها.

يُحيل إلي أن المولعين بالتاريخ هم أكثر الناس بؤساً و شقاء ،
نجدهم متيمين بكل ما هو عتيق فيفضلون العربة للتنقل عوضاً
عن السيارة ، و لهذا نراهم ينسلخون تدريجياً عن الحاضر إلى أن
يصلوا مرحلة الانسلاخ الكلي و الجنون الكلي في آن.

الوضع ما عاد يحتمل ، إنَّ عقلي يرفض الإصغاء و الطاعة و لا زال
يبحث في تفاصيل التفاصيل.

سأكتب *إيفا* سأكتب ، حين أكون قد عشتُ بالقدر الذي أعتبره
ضروريًا ، حين أفرغ من الحياة سأرغب في الكتابة ، ويجب أن
أفعل كل شيء الآن لأكتب فيما بعد .. هكذا قال أو شيئًا كهذا.

أحب الكتب و لعلّي أحبها أكثر من البشر ، وليس ثمة ما يمكنني
فعله إزاء ذلك.

أحيانًا نبغض فكرة الموت بحذافيرها ، ولكن إن لم نفكر في الموت
فلن نكون شيئًا.

لا تسمح الحياة بغير الموت فينا.

قال : توّجوني بالورد .. فتوّجوه بالوجع.

وفّر أفكارك القدرة ، لا أحد يود سماعها .. ولا حتى أنت.

خلافًا للحياة ، الصدق في الكتابة أيسر من الكذب.

نحاول قدر الإمكان تجنب مقدمات الكتب ، فقراءة المقدمة تُسيء
للغموض ، ولا نعني بذلك تحاشيها كليًا ، نعود إليها حين نفرغ
من الكتاب.

شحوب الحياة المزركش يُضللُّ هادينا.

تهلّل جليل يُهيمن عند رحيلك.

هذه هي الحياة ، تمنحك ما تريد حين لا تريده.

الرغبة و الممكن لا يجتمعان على الإطلاق ، بعكس الرغبة و
المحال.

لا مكان لك أبداً .. أنت هناك

أنت وحدك .. و لا رفيق لديك

في غيابهم .. لا بقاء راسخٍ إلّاك.

أمضيتُ حياتي حتى الآن في لا شيء تمامًا كما يفسا ، و الفارق
الوحيد بيننا أنّها ليست مضطرة لفعل شيء بعكسي أنا -
فوجوديتي تُحتم عليّ أن أفعل شيئًا واحدًا على الأقل.

إن كان كره شخص أو شيء ما يستنزف منّا كل هذه الطاقة ، لم لا
ندعه جانبًا و نمضي.

كم شيئًا اشتهيته و لم أحصل عليه ، و كم فقدتُ شهيتي عند
قدومه.

لا ترقب و لا تتكهن .. حسموا أمرهم
هم الآن غفروا لك .. غفروا تعفّفك.

ودّعتني أوجاعي ، وودّع الرحيل أحزاني ورحل.

الشجاعة تلزمنا لنخطو خطواتنا الأولى دائماً و أبداً ، ولكن عن أي نوع من الشجاعة نتحدث؟ ، و لأكون أكثر دقة – هل للشجاعة أنواع تظهر في مواقف معينة؟ ، أظن الإجابة هنا بالإيجاب و لحسن الحظ لا أحد يعي ذلك.

إنّ الكتابة و القراءة لا يتفقان بالنسبة لي أبداً ، فكلما قرأت اعترتني رغبة عارمة للكتابة ، و حين أكتب تأتيني نية جامحة للقراءة .

لا أحب ذاتي و لا الآخرين ، لكنني مغتبطة بذلك ؛ لأنه عادةً من
لا يهوى ذاته يهوى الآخرين - و في هذا صدام كبير ، و أنا لا
أرتضي تضارب كهذا أبدًا و أحبذ ألا أحب أحدًا ، فالإنسان ليس
جديرًا بالمحبة.

أحيانًا أرتاب في غايات وجودنا فلا أجد سوى غاية واحدة - هي
اقتراف الآثام أولًا و الندم عليها تاليًا.

تقول لي *إيفا* : القراءة كل ما عليك فعله الآن ، القراءة فحسب ،
و مع مضي الزمن ستدركين كم الأشياء التي قمت بها من خلالها.

الناس يظنون أنني أحلم بأشياء بعيدة المنال ، لذا توقفت عن التمني
و بمرور السنين ما عدت أحلم بشيء .. حتى في المنام.

أنا وإيفا كالصخر و الرمل ، فالأول صلب أكثر من اللازم و
الثاني أنعم مما ينبغي.

ألا تثرينا كل نماذج التاريخ عن حتف العظماء حتى نكف عن
ابتغاء العظمة؟.

هل تدرين فظاعة الفشل يا إيفا ؟ ، إنه أفظع مما تتخيلين و أشع
مما ظننت.

أحبذ الكتب التي أختارها بنفسي لا تلك التي يتتقيها الآخرون لي ،
لا سيما الأكاديمية منها ، في هذه الحالة أكون مضطرة لأن أقرأ كتباً

لا تعجبني البتة ، و الأسوأ من ذلك .. إنهم يرغمونني على
حفظها.

لا شيء نفعله لنحس السعادة ، إنَّها تحدث من تلقاء نفسها و ما
علينا إلَّا الانتظار .. تمامًا كما انتظروا جودو.⁽¹⁾

من اليسير علي كتابة حوار مع إيفا يدوم طويلاً على أن أتبادل
حوار قصير مع شخص ما ، و لا يعني هذا بالضرورة أنَّها خيالية ،
بل هي فقط ليست بتلك الواقعية في رأي الآخرين ، و يعزى ذلك
لكمالها المفرط.

(1) (في انتظار جودو) مسرحية للأديب الإيرلندي "صمويل بيكيت".

"من أجل تموز حبيب صباح

كتب عليك البكاء عامًا بعد عام" (2)

أيلول بداءة النسيم

أيلول ميعاد التعازي

وتموز شموخنا القديم

في فجر أيلول ..

تدوم أقصر المآسي

في ليل تموز ..

تمر أطول الليالي.

(2) اقتباس من كتاب (عشتار و مأساة تموز).

أحسست برغبة في الكتابة فلم أجد شيئاً أكتب عنه ، و على الفور
تدخلت إيفا و اقترحت أن أكتب عن أي شيء تصادفه عيناى ، و
لكن .. ماذا قد تصادف هذه الأعين السوداوية غير السواد ، فهل
أكتب عن السواد ، أذلك يجدي؟.

تطيين لي يا إيفا فلا أرى بك عيياً ، و لو رآك غيري لعاب ما
طاب لي.

أكثر ما يقلقني أن أصل إلى تلك المرحلة التي لا أعود أفلق فيها من
شيء.

الأناس الذين أصادفهم هم ذاتهم دومًا ، لكن بمزاج متقلب.

تخبرني /إيفا أَلَّا أفشل مهما حدث لي الآن و مهما سيحدث في
المستقبل ، لثلا أصير نملة يدهسها المارة.

من العسير أن ننسى ما قد رأينا أو سمعنا أو قرأنا في الحياة ، بينما في
الأحلام يكون ذلك يسير للغاية ، و غالبًا ما نكون بحاجة لنسيان
الأولى لا الثانية.

تحركي /إيفا تحركي ، و اكسري هذا الوجوم بخُطاك ، لكم يزهو
لي رنين الخطى الخافتة للراحلين.

أحاول أَلَّا أتحدث كثيرًا و أَلَّا أصمت كثيرًا ، أحاول أَلَّا أحزن
كثيرًا و أَلَّا أفرح كثيرًا ، أَلَّا أقف و لا أقعد كثيرًا ، أَلَّا أنام و أصحو

كثيرًا ، حتى أنني لا أفكر في العيش طويلًا ؛ لأنني أدرك تمام الإدراك أن الكثرة تجعل الأشياء رتيبة.

أبصرتُ شخصًا شبه ميت و شبه حي

لوح بيده من العدم

مناديًا أقرانه أشباه الموتى و الأحياء

مشيرًا إلي :

لنغزي فيهم الوطن فكلاهما أولى بالعزاء منّا.

أبغيه يا إيفا ، ذاك الطريق الموحد أبغيه ، عليّ أضيع فيه ، فأنسى
و أنسى عليه ، أنسى ما كان و أنسى من الذي كان.

سال دمه و لم يمانع ، جرجره معه حيثما وطأ ؛ لئلا ينسأه أبناء بلده ،
لم يذكره أحد و لا حتى العابرين ، فهذا الوطن لم يعد وطنه .

بعثة دار كلام في رأسي ، بحثت عن أحد فلم أجد أحداً ، حيثئذ
تجلت إيفا بضبايتها ، وعيت بعد زمن أنّها لم تكن سوى دخان
مر بجانبني و لم تكن أحداً .

وعدتني إيفا قبل أن تمضي أننا سنذهب في نزهة معاً ، فشطبتُ
جل مواعيدي ، عادت إيفا بعد أن مضت و قالت : نزهتنا
ستحين قريباً . لم أكن أملك مواعيداً لألغيها ، كتبت عوضاً عن
ذلك (رحلة أخيرة ، ستحل قريباً) .

أعوز محادثة طويلة و لكن ليس مع أحد ، أنا بحاجة للحديث العميق مع نفسي .

متى سيفهم يهود العالم أن هتلر لم يكن عربياً .

لو لم يكن الغرب هم السبب في معاناة العرب ، ففضيحتنا ستكون عظيمة .

ستدرك مدى تفوقك ، حين يحقد عليك و يبغضك العالم بأسره ، و في الآن عينه يحترمك و يخافك . هكذا خبرتني إيفا .

لا المكان يخفف الوجد ، و لا الزمان يخفيه .

الولع بالاقْتباس ، هو أول الكتابة و القراءة ، و هو أول الحياة
المستحقة.

لا أذكر أين قرأتها ، لكن ثمة عبارة تُفيد أن الإنسان كلما تبين
ماضيه بصورة أفضل ، كان حاضره جلياً و مفهومًا أكثر. لستُ
متيقنة تمامًا إذا ما كنت قرأتها فعلاً أو سمعتها ، و عليّ حتى كتبها
بنفسي في حياتي السالفة فعادت ذكرها إليّ الآن.

ما أجمل البشر ، و لكن في بعادهم.

الحب مزيج من الغباء و قلة الحيلة.

قال : لا تدعني أشك بك ، فحينها ينتهي كل شيء.

إنَّ من اعتاد الآلام يتحصن بها في مواجهة كافة أشكال الجراح ،
لكنَّها لا تنسيه أبداً الجرح الذي أفقده الإحساس.

كانوا جميعاً يودون نصحتها ، ولكن ما من أحد حاول فهمها.

الحاضر لا يعجبني ، لا شيء يجعلني أتفاءل بالمستقبل ، وما زلتُ
أبحث عن الحياة التي لم أعشها في الماضي.

لا زلتُ انتظر ، لا أدري ما الذي انتظره على وجه التحديد ، بيد أنني
لا زلتُ في الانتظار.

الكاتب العظيم : هو من يخلق الأحاسيس ، حيث أن حديثه عن
آلام المعدة يسبب لك مغصًا في معدتك.

أمرًا عجيب ! ، يعطونني كومةً من الأكاذيب و يطلبون مني إيجاد
الحقيقة.

تمنيتُ السعادة تمنيتها كثيرًا ، دون أن أعرف ما هي.

أحاول دومًا استكشاف نفسي في ماضيّ و لا أجدني فيه.

البقاء وحيداً .. أول خطوة للرحيل بعيداً.

كلما صادفت المنحطين و الرعاع في حياتي كثفت الاطلاع على الكتب الفلسفية ، دون مبالاة مني بأولئك الذين نشأت ذواتهم نتيجةً للصدفة الأرسطية⁽³⁾ ، ففكرهم دائماً غير محدد و لن تصل معهم إلى أي هدف ؛ ذلك أنَّ العقل الذي نتميز به عن سائر الكائنات الحية ، لا يتحقق بصورة كاملة إلا في ذلك الشكل من أشكال الحياة الذي لا يعترف بالاتفاق و الصدفة - و لا بما هو عديم القيمة.

رغم كل ما قيل ، ما زال ثمة الكثير ليُقال.

(3) أرسطو طاليس فيلسوف يوناني ، تلميذ لأفلاطون و معلم للإسكندر الأكبر المقدوني.

يقولون : حديثك المستمر عن الانتحار يقلقنا.

أقول : كثير الكلام ، قليل الفعال.

تقول *إيفا* : لكن من تحبين تحدثن ثم فعلن.

أسأل : من؟.

تجيب : كثيرات .. كباخمان⁽⁴⁾ و سكستون⁽⁵⁾ و بلاث⁽⁶⁾ .

الكاتب الحقيقي يرافق خلوته ، و الكاتب الحقيقي يخلو برفقته.

حياتي لأحد و لغير الجميع .. هكذا تكلم نيتشه.

(4) إنغبورغ باخمان : شاعرة نمساوية ، انتحرت بإضرام النار في شقتها.

(5) آن سكستون : شاعرة أمريكية ، انتحرت اختناقاً بالغاز.

(6) سيلفيا بلاث : شاعرة أمريكية ، انتحرت اختناقاً بالغاز.

سأحتضن الحياة

كما تأبطها نوح

ألوجها وحدي

بلا جسدٍ ولا روح.

الحب كالدار

حتى إن استحسننت غيرها

فالمنزل الأول يعود الحنين إليه

يأخذك الشوق لبيت الخراب

و ما الحنين إلى اليباب

وإنما لمن يعيش فيه.

لعلي ، لعلك ، ولعلنا

نوجر ماضينا

كالخمر في زجاجات

و نرشفه ..

حتى نثمل من الحكايات.

"يوميات الحزن العادي"⁽⁷⁾ يوميات السأم العادي.

يقول الخريف له :

أنا أوزعك البدايات

(7) يوميات الحزن العادي : عنوان لأحد دواوين الشاعر الفلسطيني محمود درويش.

و أنت أوزعني بالنهايات
لا أخدعك ولا تطيل انتظاري
فلا أنت تطلب مني الوسمي⁽⁸⁾
ولا أنا أطلبك في اخضراري.

تُبين بلاث دافعها لكتابة روايتها الناغوس الزجاجي بقولها "عليّ
أن أكتبه لأحرر نفسي من الماضي"، وهذا تمامًا ما أقوم به.

أن تكون حياديًا معناه أن تصير منافقًا.

(8) الوسمي : المطر الذي يهطل في أول الربيع.

لا أحد يملك /يضا التي أملك ، وإن حدث فلن تكون كالتى
لدى ، جميعاً نعرف السبب.

أنا أيضاً أطالب بحق العودة⁽⁹⁾ .. حق العودة إلى بطن أمي.

سلامٌ للحنين ، سلامٌ عليك

سلامٌ على روحك الثكلى

سلامٌ على جرحك الأسمى

سلامًا عظيمًا للملح عينيك.

إليّ يلجأ من خانه الزمن ، إليّ يلجأ

(9) حق العودة : هو حق الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم.

من خانه الزمن يأتي لمن خانه الزمن
خانته أزمانه ، فمضى لعله يرى لعلنا نرى
من يجيء بعدنا .. ليهزم الزمن و يثأر لنا.

نُجاهد بتحامل لننسى ، ننسى ، ونُنسى
و في النسيان يخبو من الذكرى الكثير
ظل ذاكرتي يمضي ، ظل ذاكرتي يغيب قائلاً :
سأرحل ، و أرحل .. ريثما يُعيدني العمر القصير
سأرحل ، لأغفو و نغفو .. و يغفو و جعي قليلاً.

أنصت للحقيقة من المجانين ؛ فحقيقة العقلاء كذب.

أطلعهم يا صديق أطلعهم

عدونا واحد ، عدونا واحد

يقول الصديق : لكنّي وحيد

بيد أنّ عدوي ما عاد يعنيني

عدوي ذاك ما عاد يعنيني

أطلعهم يا صديق أطلعهم

حياتنا واحدة ، حياتنا واحدة

يقول الصديق : لكنّي وحيد

بيد أنّ العيش ما عاد يغريني

هذا العيش ما عاد يغريني.

يقول الخال ناصر "الذكرى ناقوس يدق في عالم النسيان" ، لكنّه لم يكن يعرف إيفا خاصتي من كنت ذكراي. لو ظل أكثر قليلاً
لقدمتها له هديةً للنسيان.

أسائل نفسي "ما الجمال؟".

يرد بيسوا⁽¹⁰⁾ في هيئة إيفا: "الجمال هو اسم لشيء غير موجود ،
أنا أمنحه للأشياء مقابل ما تمنحنيهِ من متعة".

لا بد أن تجرح بما يكفي لتتمكن من القراءة جيداً.

(10) فرناندو بيسوا : شاعر و كاتب برتغالي.

كما تبكي حين يكون ثمة ما يستحق البكاء ، فلا تكتب إلا إن كان هنالك ما هو جدير بالكتابة فعلاً.

يقول أرسطو : " ينبغي للإنسان إما أن يتفلسف أو يودّع الحياة و يمضي من هنا".

ترد/يفاي : من فشل في المضي عن هذا العالم الرهيب ، لا خيار أمامه سوى الفلسفة.

بعض الأمور يستحيل نسيانها ، و ستظل تلاحقك أينما و حيثما كنت ، و لن يكون لديك مهرب سوى النهاية.

ذهبنا للبحث عن الحقيقة ، كنت أعلم سلفاً أنّ بعضنا يُضنيهم البحث ، و علمت أنّنا أنّ لا حقيقة يُعثر عليها ..

لا الآن ولا هنا

لا لاحقاً ولا هناك

لا في أي زمان

ولا في أي مكان.

كي تبقى نقياً ينبغي لك أن تنأى بنفسك عن أي احتكاك
بالآخرين.

لا يهم ما يحمله الفرد من أفكار ، المهم ألا تفقده إنسانيته ؛ لأنه
عندها .. وعندها فحسب تحلّ الفاجعة.

على من يود الكتابة ، البدء من فهم مقاصد الأدباء الخفية بين
أعمالهم ، حين تتمكن من إدراك ما يعنيه الشاعر بيت الشعر هذا
أو ذاك ، استيقظ فجرًا لتكتب شيئًا.

أقول : الوداع ، موعد الرحيل آن.

تقول /يفضا : ظلّي قليلًا ، لا ترحلي الآن.

أقول : إن لم أتهيأ حاليًا ، فلن أرحل أبد.

ترد : لا بأس ، ظلّي قليلًا بعد.

يقول الصدى - و لا أدري صداي أم صداها - :

غيبني الآن أو ظلّي ، رحيلك أو بقاؤك لن يضير أحدًا ، لا أحد

يحفل .. لا أحد.

في بعض الأحيان لا تكون أنصاف الأمور هي الأفضل والأكثر
تفاضل ، عذراً أرسطو⁽¹¹⁾ لكن هذا ما نراه واقعاً ، فإن مناصري
التشاؤمية والعدمية من لم يعثروا على مبرراً واحداً للحياة – كانوا
عظاءً بما يكفي ليُخلد التاريخ أسماءهم ، وعلى غرارهم أولئك
العظاء مؤيدي التفاؤلية المفرطة ، من يظنون أنه "على هذه
الأرض ما يستحق الحياة" – خلدهم التاريخ. و من كل متشائم و
متفائل يأتينا عظيماً ، لكننا لم نعثر على وسطي واحد كان كذلك ،
بل و إن أرسطو ذاته لم يكن وسطياً ؛ لذا صار يلوح لي أنّ الفضيلة
تتعارض والعظمة بطريقةٍ ما.

متى يجيء اليوم المنتظر؟

اليوم الذي تأتيني السعادة فيه

(11) الفضيلة لدى أرسطو تكمن في الوسطية ، كل ما هو وسط يُعد فاضلاً ، فالقليل من الشجاعة جبن و الكثير منها تهور.

وأعود للحياة فيه
بعد أن كنت أحتضر.

قطار الحياة لا ينتظر أحدًا ، إلا أنه يمتاز بالفرص ، إن فاتتك محطة
اصعد إلى التالية.

هؤلاء التافهون و الجهلة لا ينبغي التسمم لهم حتى من قبيل
الاحترام.

الحياة سباق ، و العالم مضمار قد يكون الأضخم على الإطلاق ،
الموت نهايته ، و لسنا سوى عدائين داخله نتسابق بسرعة بالغة
للولصول إلى .. خط النهاية !.

عليك دائمًا أن تكون فضوليًا ، دون الكشف عن ذلك لأحد.

حاذر ذلك القريب إليك ، فإن أقبل اليوم الذي يود فيه العالم
التخلص منك ، سيكون هو الوسيلة.

قالوا بحماس : لم يكن هذا العالم عادلاً قط ، ولن يكون أبدًا.

قالوا أيضًا : لا تتعجل الموت ، هو سيأتيك على أية حال.

برعوا في تحويري ، و خلقوا مني شخص آخر غير ما أنا إياه ،
شخصًا كما يتغونه هم ، لكن .. ما أن أفلحوا في ذلك حتى
غادرتهم فورًا.

أحيانًا ، كلمات بسيطة كفيلة بتغيير حيوات بأكملها.

لا يدرك ماهية الكون من لم يُجرب اليقظة المبكرة.

سلامي الداخلي يزداد سلامًا ، كلما كتبتُ ولم أنشر ، وكلما أحببت
ولم أفصح ، أو تعلقت ولم أتمسك.

في الغالب ، أعيد كتابة العبارة الواحدة مرارًا ، حتى تصير جليّة
لدى الجموع ، هكذا و مع استمرارية المحاولات تضيع نكهة
العبارات التي أكتب ، فلا يأتي منها سوى ما تقرأ الآن. ولعلّ هذه
أكبر مشاكلي مع غيري من البشر ، فرغم إدراكي لكل ما يُبديه
الآخرون من أقوال و أفعال ، يصعب علي في المقابل تبيان أقوالي أو
أفعالي بصورة سوية غير عصبية الفهم.

يستلزم الأمر وقت طويل جدًا لكشف المخادعين ، و وقتٌ أطول
للتخلص منهم.

إحساسك بعد أن تفرغ من الكتابة قد يكون في بعض الأوقات
نافيًا ، أي أنّك لا تناسب ما كتبه لك ، و هذا الشعور طبيعي .. ما
ينحاز عن المجرى الطبيعي ، إقصاؤك لذاتك إبان الكتابة.

قراءة الروايات كثيرًا باتصال ، أي دون أن تتخللها فواصل لقراءة
كتب من نوع آخر ، تفسد العقل حتمًا.

لست أدري كم سنة تلتزمنا كي ندرك الحكمة ، أو ماذا نعوز لنأتيها
، إلا أنني على يقين أنها لن تتولد إلا من النوائب.

كثرة الكتب الرديئة تعدم أي رغبة في القراءة ؛ لذا نحتاج من آن
لآخر مصادفة كتاب عظيم ، ليُعيد إلينا حماسنا القديم.

احتجب في غرفة معتمة من يوم إلى يومين - بل إن بقاؤك في تلك
الحجرة لساعات سيكون كافيًا - حتى تألفها ، ثم قم بإنارتها ،
عندها لن تحمل كمية الألم في عينيك و سرعان ما تطفئ الإضاءة

و تعود إلى وضع الحجرة المعتمدة ، لكنك لن تفعل ذلك لأنك
تعشق الظلمة ، بل لأنك احتجبت فيها مدة أجبرتك على اعتيادها.
هكذا هي الحياة تمامًا – لا نحياها لأننا نحبها بل نحياها لأننا
اعتدناها.

صرتُ أخشى أن يموت أحد معارفي فلا أرثيه بالقدر الكافي ؛ ذلك
أني لم أعد كما كنت بتلك الحساسية ، عانيت في السنوات الماضية
الكثير ، فلم يعد بإمكانني البكاء على أشياء تافهة و محققة كالموت.

أصابع اليد ليست متشابهة ، صحيح .. لكنّها تؤدي الوظيفة ذاتها.

من بعد هذا الحلم ، أتمنى لعيني دائمًا أن تنام.

تكمّن قيمة العمل الأدبي الجيد في الكياسة.

مهّا طال بنا التفكير في الموت فهذا لن يمحو أبداً خشيتنا منه ، و
تساءل أحياناً "كيف يمكن لبعض البشر اختياره درباً لهم دون
وَرع؟" ، و لو كنّا هم لما اعترانا ذاك الفضول.

ما هي الفلسفة ؟ ، من هو الفيلسوف ؟ ، دعوني أبين لكم ماهية
الاثنين بواسطة قصة مقتبسة :

"تخيل شخصاً إنجليزي ، فرنسي ، صيني ، أندونيسي ، جميعهم
ينظرون إلى كأس.

الإنجليزي يقول : هذا كوب (Cup).

يرد الفرنسي : كلا ، هي طاس (Tasse).

يعلق الصيني : كلاهما مخطئ ، إنه بت (Pet).

يضحك الأندونيسي على الآخرين قائلاً : يا لكم من حمقى ، إنه

تشاوان (Cawan).

يأتي الإنجليزي بقاموس ويريه لهم : بإمكانني أن أثبت أنه كوب ،

فقاموسي يقول ذلك.

"إذا قاموسك على خطأ" ، يقول الفرنسي "فقاموسي يقول

بوضوح أنه طاس".

يسخر منها الصيني و يقول : قاموسي أقدم من قواميسكم بآلاف

السنين ؛ لذلك فإن قاموسي هو الصحيح ..

و بينما هم يتشاجرون ويتجادلون مع بعضهم ، يأتي الإنسان

الفيلسوف و هو يشرب من الكأس ، بعد أن يفرغ يقول للآخرين

: سواء سميتوها كوب ، أو طاس ، أو بت ، أو تشاوان ،

فالغرض من الكأس أن يُستعمل ، توقفوا عن الجدال و اشربوا".

نعم يا سادة هذا هو الإنسان الفيلسوف ، يُناني تمامًا الصورة
النمطية العالقة في أذهان الكثيرين ، فهو ليس مولعًا بالجدال ، و لا
يدخل في المجادلات التي لا نفع منها ، و لا هدف فيها ، و لا
تؤدي إلى أي نتيجة ، و إن خاض جدالًا فإما لأن موضوعه
يستحق أو لكونه يمنحه متعة خاصة في تعليم الغير و اكتساب
التعاليم منهم ، و في الفئة الأخيرة نجد سقراط الأفلاطوني.

تلتفت و أنت تأمل ألا تلمحك

تفنى و لا تفنى ، و جودك زائل

وحدها و حدثك معك ..

تجتدي منها بدائع سرمدية

تفرُّ بها لو هُنيهة من هلاكك

عادَ إلى غياهب الأيام عادَ

فاهجعي يا روحه و لا تجزعي

كي يقولوا : مات و هو ييسم

كأنها آخر لحظات وحشته

لكأنها أولى ساعات أنسته

و كان يعرف ، لقاء دهشته

كان يعرف ، وداع غربته

كذلك كنا نعرف ، مثله تمامًا

إن هو رحل .. سيأتيه الربيع.

يسعى المرء إلى الماضي في حياته

و حين يجيء المحال ليُمت رغباته

يصيح : خاتمتي إنِّي آتٍ ، لم يعد يسعني البقاء

و حينما تئن روحه المشوهة في غياهب آخرته
ينادي : أيتها الملائكة الزاهدة في تلك الأقصي
ها أنذا أنهيتُ حياتي ..

مرهقًا كمسافر

أريد الغياب .. أريد الرحيل

أريد الفرار ، فما عاد يُسعفني انتظار

عند منتصف الليل ، تطرق الملائكة بابه

تمهله وقتًا .. تطرق ، تطرق .. ولا إجابة.

إنَّ الحياة التي منحْتِها تسربتْ مِنِّي

فقد حُطِّمتْ نفوسنا ، و شوّهتْ روحنا

مكتوبٌ ألا شيء لنا ماضيًا و حاضرًا

بشرٌ منفيون نحن ..

لا مكان يأوينا و لا زمان يُنسينا

نحتجب هنا وحدنا ..

بعيدًا عمَّن نسميهم الصحب و العدا

هادئون نحن ..

تُرُقِب ما يُرَقِب من نهاياتنا

فيا الآخرون منَّا حلَّت نهاياتهم

بداياتٌ بحمرة النيذ ، و خاتماتٌ ببياض الورد.

حوارات

- ما السعادة ؟ .

إيفا : هي الحاجة للحياة.

- والكآبة ؟ .

إيفا : الحاجة للكتابة.

إيفا : لماذا رفضتِ النقاش ؟.

- أفضل إبقاء فمي مغلقًا ، حين أكون على حق.

إيفا : ما هو التاريخ ؟.

- يقول البعض أنّه "أكاذيب المتصرين" و في هذا القول شيء من

الحقيقة ، بل هو سيد الأكاذيب في نظري ، لا أدرك على وجه

التحديد من أين تصدر تلك الأكاذيب ، و لا يمكن الجزم أنّها تأتي
من المنتصرين على الدوام.

- أود لو بمقدوري حسم الأمر الآن.

إيفا : أي أمر ؟ .

- أمر الحسم.

- كيف نعرف الشخص الوحيد ؟ .

إيفا : المسألة بسيطة ، لا بد و أن يكون طبيعيًا.

إيفا : لا شيء يدوم إلى الأبد.

- لا شيء مادي ، لكنّ الأمور الحسية تدوم طويلاً.

إيفا : كما الروح.

- أود القيام بشيء ما.

إيفا : تمسّي قليلاً ، هذا يعد شيء.

لم أعني ذلك .. إلا أنّي تمسّيت.

- هل هناك حياة مثالية ؟ .

إيفا : لا.

- شخصٌ مثالي ؟ .

إيفا : لا.

- ...

إيفا : هل هناك حياة مثالية ؟ .

- قلتِ لا .

إيفا : و الشخص المثالي ؟ .

- لا أيضًا .

إيفا : ماذا عن الموت المثالي ؟ .

- لا أدري ، أوجد ؟ .

إيفا : أجل .

- و كيف هو ؟ .

إيفا : هادئ.

إيفا : لا تملكين أصدقاء .

- لدي الكثيرين .

إيفا : ليسوا أصدقاء.

إيفا : لو كان بإمكانك انتقاء المكان الذي تولدين فيه ، فأين
تختارين ؟ .

- أختار أولاً أولد.

- لتحدث .

إيفا : عن ؟.

- أي شيء .

إيفا : لا أفكار لدي .

- الرغبة حية ، الأفكار ماتت ، بيد أن الرغبة أيضاً على غرار كل
شيء آخر ستقضي نحبها ذات يوم .

إيفا : وبم تحلمين ؟ .

- "لا العسل تشتيه نفسي .. و لا النحل".

إيفا : من؟.

- سافو⁽¹²⁾

إيفا : كاتبة؟.

- و شاعرة ، تقول أيضًا " سأغني غناءً بديعاً كي أبهج صديقاتي".

إيفا : و غنت؟.

- لا أدري ، غني لي.

إيفا : لتحدث عنها.

- من؟.

إيفا : سافو.

- لا أذكر الكثير عنها.

(12) شاعرة يونانية ولدت في جزيرة ليسبوس عام 630 ق.م.

إيفا : لا شيء البتة ؟.

- أذكر أفروديت⁽¹³⁾ .

إيفا : من ؟.

- إحدى طالباتها ، ربما ، وربما آلهة.

إيفا : و ؟.

- لا شيء آخر.

إيفا : كانت معلمة ؟.

- أجل.

إيفا : ما الذي تعلمه ، الشعر ؟.

- لا أعلم ، ربما.

إيفا : لا بد وأنه الشعر.

(13) ربة الحب و الجمال في الميثولوجيا الإغريقية.

- غني لي.

إيفا : ما الذي تودين سماعه ؟.

- أي شيء.

إيفا : "كلب جاء المطبخ سرق قطعة لحم ، رئيس الطباخين
بالمعرفة قطعه إرباً إرباً ، عندها هرعت الكلاب الأخرى ، و
بسرعة بسرعة دفنته".

- بيكيت ؟⁽¹⁴⁾

إيفا : أجل.

- أتر فينا.

إيفا : من ؟.

- بيكيت.

(14) صمويل بيكيت : أديب إيرلندي حائز على جائزة نوبل للآداب.

إيفا: نعم.

...

إيفا: ...

- لتحدث.

إيفا: عن؟

- أي شيء.

إيفا: الحياة أشبه بمسرح تراجيدي.

- حقًا؟ ، أظن أنني إذا سأفعل ما فعل صولون⁽¹⁵⁾ وأترك هذا

العرض من أوله.

إيفا: سيُريك الوقت سريعًا نتائج هذه الأقوال.

(15) سياسي يوناني ولد في عام 640 ق.م.

- لا بأس ، و سأحمل على عاتقي انتظار النتائج ، و لست جازمة
من ظهورها السريع كما تدعين.

إيفا : بلى ، و لكن مع قليل من الملاحظة.

- لا أرى ضرورة للجدال.

إيفا : هذا ليس جدالاً.

- التباس ؟.

إيفا : توتر.

- تمامًا كما في التراجيديا اليونانية.

إيفا : ربما.

- كما في الحياة ؟.

إيفا : بالضبط.

- ...

إيفا: ...

...

إيفا: متى سنبدأ الكتابة؟

- حين ننتهي من القراءة.

إيفا: ومتى ننتهي؟

- لن نفعّل.

إيفا: إذا فلن نكتب.

- يبدو هذا.

إيفا: ولكن، ألا تظنين أنه علينا ذلك؟

- نبدأ أو ننتهي؟

إيفا: أن نبدأ بالطبع.

- لا لا ، على العكس ، ما دمنا لم ننتهِ من القراءة فهذا يعني أننا معفون عن الكتابة.

إيفا : وإن راودنا منام ووددنا تدوينه ؟.

- الأحلام لا تعاش و لا حاجة لكتابتها.

إيفا : لماذا لا تُعاش ؟.

- لأنها حلم و الحلم خيال . الخيال ينافي الواقع ؛ لذا لا نعيشه.

إيفا : الأحلام خيال ، و الكتابة تدوين لخيلاتنا ، إذاً يمكننا الكتابة عنها.

- يبدو ذلك.

إيفا : وكيف نفعل و نحن لم ننتهِ من القراءة بعد ؟.

- حين ندّعي أننا انتهينا من القراءة يصير بوسعنا البدء في الكتابة ، علينا فقط أن نستعين بالادّعاء.

إيفا: و هكذا نكون قد أضفنا شيئًا جديدًا لقائمة القراءة اللا
نهائية.

- تمامًا.

إيفا: ...

- ...

إيفا: حدثني عن روسيا القيصرية؟

- الإمبراطورية الروسية؟

إيفا: كما تقولين.

- عرفت القليل جدًا عنها من إحدى المسرحيات الإيرلندية (16) ،

والقليل من أشعار بوشكين ، وهو روسي بالمناسبة .

إيفا: عظيم ، لتحدث عنه.

(16) مسرحية (الفوضيون) أو كما تسمى أيضًا (فيرا) ، للأديب الإيرلندي أوسكار وايلد.

- من ؟ ، بوشكين ؟.

إيفا : أجل.

- في قصائده كان يدعو إلى الحرية و التحرر من جور العبودية ، لا
أعرف الكثير عنه و ما علمت به إلا من روايات دوستويفسكي ، و
هو روسي أيضًا.

إيفا : رائع ، لتحدث عنه.

- من ؟ ، دوستويفسكي ؟.

إيفا : بلي.

- كان بائسًا.

إيفا : و ؟.

- تدرين يا إيفا ، أحيانًا أسألك نفسي من الأكثر بؤسًا بيننا.

إيفا : أنتِ أم دوستويفسكي ؟.

- لا ، أنا أم أنتِ.

إيفا: ...

- ...

إيفا: لتحدث.

- ليس الآن.

إيفا: لماذا؟

- أحاول التفكير.

إيفا: لنفكر معًا.

- فيم؟

إيفا: بم تفكرين أنتِ؟

- العديد من الأشياء و لا شيء محدد.

إيفا: ينبغي أن نفكر في أشياء دائمة و متصلة.

- مثل ماذا؟.

إيفا : الحياة و الموت.

- الحياة ليست دائمة و كذا الموت.

إيفا : كيف؟.

- تنتهي الحياة بالموت ، و ينتهي الموت بالبعث.

إيفا : لنفكر في أشياء دائمة بعض الشيء و ليست متصلة.

- مثل؟.

إيفا : الحياة.

...

إيفا : لا يمكن لأحد أن يحادثك لدقيقة.

- غير صحيح ، أنا أتحدث طوال الوقت .. و لكن مع ذاتي.

إيفا : أيما تفضلين السعادة أم الحزن ؟.

- أنا سأحبذ السعادة لكن الحزن أفضل.

إيفا : لماذا ؟.

- سأجني الكثير من الكآبة ؛ فالسعادة تعلمنا القليل ، و لا بد من

الأم و المعاناة لنكتسب الحكمة.

إيفا : ...

- مضى الوقت و أغرم بالكثير من النساء و هن أحببته أيضًا ، و

كن يتساءلن على الدوام إن كان سيذكرهن ، و هو يجيب " نعم

سأذكركِ " . و في الواقع كانت هنالك امرأة واحدة فقط لم ينسها

قط ، و هي الوحيدة التي لم تسأله.

إيفا : من هو ؟.

- لا أذكر اسمه.

إيفا : من هي ؟.

- مالينا.

إيفا : لم لم تسأل ؟.

- لم تكن تعلم.

إيفا : أنه سيذكرها ؟.

- أنه أحبها.

إيفا : لم لم يطلعها ؟.

- لا يمكنه.

إيفا : لماذا ؟.

- ثمة الكثير من التساؤلات التي يصعب الإجابة عنها. و على أي

حال لماذا نتحدث عنها الآن ؟.

إيفا : كي يمر الوقت سريعًا.

- لا أريده أن يمضي ؛ فالوقت ما عاد يكفيني.

إيفا : يمكننا إبطاؤه إن أردتِ.

- كيف ذلك ؟.

إيفا : نتحدث عن أمر مضجر.

- مثل ؟.

إيفا : لا أدري حتى اللحظة ، ولكن لا بد وأن هنالك الكثير

من الأشياء.

- لتتوقف عن الحديث.

إيفا : لماذا ؟.

- لن نعثر على شيء أكثر مللاً من الصمت.

إيفا : ...

- ...

إيفا: ...

- ماذا لو أنّها علمت؟

إيفا: بيم، من؟

- في نهاية الأمر جهلها كان خيرًا لكليهما؛ فقد عاش مطمئنًا و
ظلت هي تدين له.

إيفا: لم أفهم!.

- لنصمت الآن.

إيفا: ...

- لتحدث ولا يهم عمّ؛ فمن النادر جدًا أن نقول شيئًا نافعًا.

إيفا: صحيح.

- ثمة العديد من الأشخاص لا يمكنك نسيانهم البتة ، و لا يعود ذلك لأهميتهم بالطبع ، وإنما لأهمية الذكريات التي عاصروها.
إيفا : ماذا أيضًا ؟.

- لا شيء .

إيفا : ماذا نعمل الآن ؟.

- نتنظر بزوغ الفجر .

إيفا : وإن تأخر ؟.

- حينها أكون قدمت .

إيفا : ماذا الآن ؟.

- أود الحديث حقًا ، و لكنني لا أملك ما أتحدث عنه .

إيفا : ثمة أمور كثيرة علينا الحديث عنها ، لكننا نجهلها .

- نجهل كيف نبوح بها ؟.

إيفا : علّنا نخاف.

- نخاف البوح ؟.

إيفا : لعلّنا قلقين.

- ممّ ؟.

إيفا : لنجرب ثانيةً.

- حسنًا.

إيفا : قد نكون مشككين.

- فيمّ ؟.

إيفا : الأشخاص.

- الذين نطلعهم على تلك الأمور ؟.

إيفا : بالضبط.

- إذا ، يوجد أمور كثيرة ينبغي قولها لكننا نجهل كيف ونخشى أن نصح عنها ، كذلك نقلق و نشكك في أولئك الذين نطلعهم عليها.

إيفا : هذا ما أقوله.

- لا وقت لدي.

إيفا : وما الذي يشغلك ؟.

- لا شيء ، لا أفعل شيئاً ؛ لذا لا أملك الوقت.

- يقولون أنه لا يمكنك تخمين عمر شخص ما إلا إذا كنت اجتزته أو على مقربة من ذلك ، لكنني لا أتمكن حتى من تخمين عمر الأطفال الصحيح ، فإمّا أنّ هذه العبارة خاطئة ، أو أنّها تمثل قائلها فحسب.

إيفا : هناك خيار ثالث.

- وما هو ؟.

إيفا : ليس بوسعك تخمين العمر ؛ ذلك أنك تجاوزت مرحلة حساب العمر بالفعل.

- كل الأفكار تأتيني متقطعة و يعجبنى ذلك.

إيفا : ما الذي يروك في الأمر ؟.

- تفرقها على فترات يمنع من نسيانها.

- كان هناك في كل العصور أناسا مضوا إلى حتفهم بكامل إرادتهم.

إيفا : لعلهم برعوا في الانسياق منفردين لكافة الدروب ، حتى
مسلك النهاية.

- يجب ألا نهمل إحساسنا بالفراغ.

إيفا : لم ؟.

- لئلا يتحول السأم إلى ما هو أسوأ.

إيفا : وما الأسوأ منه ؟.

- وميض الطبيعة الأبيض.

إيفا : لا أفهم.

- علينا توخي الحذر لأنّ ذواتنا لا تتملل دون سبب. لاحت هذه

العبرة إلى ذهني الآن ، بيد أنّي نسيت ممن سمعتها. صرت أقرب

إلى النسيان في الآونة الأخيرة.

- شوّهت أرواحنا.

إيفا: متى، لم؟.

- عقب تخلينا عن عزلتنا شوّهت أرواحنا.

إيفا: عليها بالصراخ إذا، لتتمكن من النجاة.

- صرخات الروح لا تصل إلى الضمائر الصمّاء.

إيفا: لتحدث.

- عن؟.

إيفا: أي شيء.

- ثمة كتاب روسي قديم معنون بالجوانب المظلمة و المضيئة للحياة

الروسية.

إيفا: و؟.

- مررت به إبان قراءتي لغوركي⁽¹⁷⁾

إيفا: و؟.

- أحببت تعقيبه فحسب.

إيفا: ماذا كان؟.

- لم يجد الجوانب المضيئة ، أمّا المظلمة فأصبحت مفهومة و كريهة .. هكذا هي حياتنا هنا.

- من المبهج لو صادفت أشخاصًا لا يشبهون ذواتهم في شيء.

إيفا: كيف ذلك؟.

(17) مكسيم غوركي : أديب و ثوري روسي.

- أعني أولئك الذين يمتلكون أرواحًا متعددة ، فتجعل منهم تلك الأرواح أناسًا عديدين لا يمكن حصرهم.

إيفا : للإنسان روح واحدة فقط.

- نعم ، لذا قلت من المبهج لو صادفتهم .. ومع ذلك ، لا زلتُ أحس بتعدد الأرواح داخلي.

- ليس بوسعنا التخلص من عالمنا الدنيء.

إيفا : لماذا؟.

- لأننا بذلك نخلق آخر يفوقه دناءة و تعاسة.

إيفا : من أين جئتِ بهذا؟.

- التاريخ يا إيفا ، كل الأشياء تجريء من التاريخ.

إيفا : أوقفني هذا.

- ماذا ؟.

إيفا : التستر المستمر للأحداث و الأحاسيس ، هذا ليس صحيحاً.

- أدرك ذلك ، و لكنني أدرك أيضاً أنّ الإفصاح بعد كل هذه المدة
من التكتّم .. سيهلكني.

إيفا : لا أستقبل هدايا من أحد ، و لا أرسلها سوى لنفسي.

- لماذا ؟.

إيفا : كي أحبها أكثر ، لا أحد غيرها جديرٌ بمحبتني.

إيفا : غريب !.

- ما الأمر ؟.

إيفا : أنا وأنتِ !.

- ماذا ؟.

إيفا : نقول الكلام ذاته.

- ذلك لأننا واحد.

- هل لاحظتِ ؟.

إيفا : ماذا ؟.

- رؤساء الولايات المتحدة يتحدثون عن الشرق الأوسط كما لو

أنَّهُ ولاية أمريكية.

- محاولة نفي الإحساس أو دفنه ، بالنسبة لمرهفي الحس

كالانتحار.

إيفا : و هل إحساسك مرهف ؟ .

- لا . أنا لا أملك إحساسًا و هذا يزيد الوضع تعقيدًا .

إيفا : لم ؟ .

- ذلك أنني لا أجد مبررًا لإنهاء مأساتي .

- كنت دائمة التساؤل : لم أفضل شخوص الروائية أجانا كريستي

تموت أولًا ؟ ، لكنني أدركت السبب الآن .

إيفا : و ما هو ؟ .

- كانت كاتبة متمرسه .. حكيمة ، تعلم تمامًا كيف تسير الحياة .

- أبتهج بالحقيقة الحقّة ، كما يبتهج بقية الناس بالزائف منها .

إيفا : ما الحقيقة ؟ .

- هي أن نعرف.

إيفا: وما نعرف هو الحقيقة.

- و الزائف منها؟

إيفا: يبهجنا أيضًا.

- لكننا لا نعرف.

إيفا: بلى نعرف.

- ما هو إذاً؟

إيفا: هو أن نكذب.

- أليس خداعًا يقترفه الغير؟

إيفا: نحن من يخدعنا، و الكذب فينا وحدنا.

- ما كائن هو الكائن لا شيء عداه ، لم علينا أن نظن عكس ذلك .؟

إيفا : في الظن حكمة.

- و سوء فهم.

إيفا : تأتي الحكمة أولاً ، ثم يجيء سوء الفهم.

- و ما حكماه .؟

إيفا : كل ما كائن يَحْتَمِلُ أكثر من معنى ، و ينبغي للحكاماء النظر لكل ما يُحْتَمِلُ أن يكون ، عوضاً عما هو كائن فقط.

- لتحدث.

إيفا : عن .؟

- أي شيء.

إيفا : هل يمكن للجميع الكتابة ؟.

- حتمًا.

إيفا : وماذا يلزمنا لتأليف كتاب ؟.

- المزاج أولاً ، ثم التجربة أو القراءة ، و عندها تأتي الكتابة.

إيفا : القراءة و التجربة معًا ؟.

- الأمر كالآتي :

قد لا يسعفنا الوقت لرؤية الكثير و تجربة العديد من الأمور ، و لا

لقاء أناس نستلهم منهم شخوصًا أو أحداثًا أو حوارات ، عندها

نكون مجبرين على اللجوء إلى البديل عن التجربة ألا و هو

(القراءة).

إيفا : وكيف نفعل ذلك ؟.

- نعرف ما الذي نحبه بدقة في الشعر مثلاً - إن كان هذا أكثر الأقسام المحببة لنا - هل هو الثري منه أم المقفى ، القديم أم الحديث ، ما يحفل بالطبيعة أم الوطن .. و غير ذلك.

نقوم بهذا الأمر مع الأقسام كافة ؛ لنعرف أخيراً الصنف الذي نحبه ، ثم القسم به و أخيراً أجزاء هذا القسم.

إيفا : حينها نبدأ الكتابة في حدود ما نحبه ؟.

- قطعاً. لكن ذلك سيطول إلى حد ما ، و العلة أننا مع كل كتاب نقرأ سنجد تقسيمات و أجزاء أخرى نحبهها أو العكس. ما يضطرنا لتأجيل الكتابة مراراً ، إلا أننا نكتب في النهاية.

إيفا : و ماذا عن المزاج ؟.

- قد يكون مبهج أو تشاؤمي ، كلاهما يفني بالغرض ، لكن الإبداعات تتجلى غالباً عند من لهم مزاج تشاؤمي بكمية مناسبة . ثم لا بد و أن يكون المزاج متقلب - لذلك أرفض القول عن أي

كاتب أنه كان متناقضًا في عمله - فعمل الكاتب الرئيسي يكمن في التناقض ، وإلا ما خرج لنا بكل هذه الشخصيات المتباينة في عمل واحد ، و ما هي في واقع الأمر سوى أفكارًا تناقضية تأتيه ليُكيفها لاحقًا بما يلائم عمله.

إيفا : ماذا عن التغيير ؟.

- ماذا عنه ؟.

إيفا : ليس له دور ؟.

- بلى . يُعد من مكونات المزاج و هو الأهم بجانب معرفة الصنف المحبب من الكتب ، لكنه قد لا يعجب البعض من المتعجلين . على الإنسان ألا يقدم على فعل الكتابة أبدًا قبل مروره بما يغير حياته تغييرًا جذريًا ، ما يعني ستتان من المواقف المغيرة ، تليها من خمس إلى ست سنوات يتفرغ فيها الشخص لإدراك ما يحل به من تغيرات .

إيفا : محظوظٌ هو من كانت مواقفه المغيرة في فترة حياته الأولى.

- ما تخشاه البشرية ليس الجهل بحد ذاته ، وإنما الجهل المسفر عن أعمال ملؤها الشر.

إيفا : ما يعني أن العلم الشرير غير مستحب كذلك.

- أجل . وأهل اليونان القديمة كانوا أول من لاحظ الفارق.

إيفا : كيف يحوز الإنسان العظمة ؟.

- العظمة أم الحكمة ؟.

إيفا : وهل ثمة فرق ؟.

- بلى .

إيفا : ما هو ؟.

- في غياب الحكمة لا وجود للعطاء.

إيفا : إذا ، كيف نحوز الحكمة ؟.

- الإغريق هم أجلُّ الحكماء سالفًا وأبدًا ، لا بد وأنهم يعرفون

جوابًا لسؤالك أمّا أنا فلا.

إيفا : ما السر ؟.

سقراط : سر ماذا ؟.

إيفا : سر الحكمة.

سقراط : لا أدري.

إيفا : لكنك يوناني.

سقراط : ...

إيفا : أأنت فيلسوفًا.

سقراط : بلى.

إيفا : و الفلاسفة حكاء ؟.

سقراط : لسنا حكاء ، نحن محين للحكمة ، و لا سبيل لبلوغها.

إيفا : ماذا الآن ؟.

- أبحث.

إيفا : عمّ ؟.

- مكان.

إيفا : لمّ ؟.

- لمّ لمّ ؟.

إيفا : لا أدري ؟.

- مكان نرتاح فيه.

إيفا : ممّ ؟.

- لا ليس ممّ .

إيفا : ماذا إذا ؟ .

- لمّ .

إيفا : حسنًا .. لمّ ؟ .

- كي نستعد لخاتمنا .

إيفا : و الراحة أمرٌ لا بد منه ؟ .

- لازمة للموت المثالي تذكيرين ؟ .

إيفا : أجل .

- هادئ .

إيفا : لتحدث .

- عن ؟ .

إيفا : أي شيء.

- مثل ؟.

إيفا : لا أعرف.

- كل هؤلاء البشر و كل تلك الأحداث و لا تعرفين ؟.

- ماذا عنك ؟.

- أعرف.

إيفا : جيد. لتحدث.

- عن ؟.

إيفا : ما تعرفين.

- أجهل الحديث عمّا أعرف.

إيفا : ما نفع كونك تعرفين ؟.

- ينفعني حياتي المقبلة.

إيفا : هذه أناانية.

- ربها.

إيفا : غطرسة.

- لعلّها.

إيفا : نرجسية.

- قد تكون.

- الكافة يخالون ذلك.

إيفا : ماذا ؟.

- الصدف المتكررة لا تعتبر صدفاً.

إيفا : ما هي إذاً ؟.

- تخطيطاً إلهي.

- فيما مضى كان للأشياء مذاق واحد لدي.

إيفا: ...

- مر.

إيفا: أمّا الآن؟

- ما عاد للأشياء طعم.

- أظن الإنسان لا يرغب أن يكون صريحًا لأنّه سيضطر للحديث

كثيرًا.

إيفا: صحيح. و كما أنّه لا أحد يحب الكاذب فلا أحد يطيق

الثرثار أيضًا.

- هل ثمة حياة قبل الحياة؟.

إيفا: يقول بعض من فلاسفة الإغريق نعم ، لكننا نقول لا.

- لم لا؟.

إيفا: لم يثبت شيء حتى اللحظة ، و الأمر مماثل للحياة بعد الموت ، تتفاوت القناعات في هذا الشأن حتى على ذوي المعتقد الواحد ، لا شيء موثق ، لا شيء.

- نقول بالشك إذًا؟.

إيفا: ربما.

- لا أظن . لا بد من وجود ما يمكننا الجزم به.

إيفا: أبله من يخال ذلك.

- لماذا؟.

إيفا : لا شيء مؤكد حقًا ، لكل قول أو فعل عدة تصورات
بالنسبة للعديد من الأشخاص ، و قد نقول بتأكيد الأشياء لو كنا
نعيش فرادى ، بيد أننا لسنا كذلك .
- و ما نراه مثبت ، قد يرتابه الغير .

- نعستُ .

إيفا : نامي إذا .

- لا رغبة لي .

إيفا : قلت أنك نعستِ .

- ما شأن الناس بالرغبة ؟ .

إيفا : النوم ليس شيئاً نبغيه أو نحجم عنه ، هو شيء يحدث
تلقائياً و ليس أمامنا سوى الانصياع له .

- كما الموت ، لسنا نشتهيهِ و ليس بوسعنا الإعراض عنه.

إيفا : إلاَّ أَنَّهُ لا يمتاز بال تلقائية الدائمة ، فقد يستعجله البعض و يُرغم عليه بعضُ آخر.

- هل لزامًا على الإنسان أن يعاني من العذاب عينه الذي سببه سابقًا لسواه ؟.

إيفا : من قال هذا ؟.

- قانون الكرمما الفردي ، أظن.

إيفا : و ماذا يكون هذا القانون ؟.

- شيء يتعلق بالكثافة الروحية ، الحياة قبل الحياة ، تحدثنا عن الأمر ألا تذكرين ؟.

إيفا : أذكر . و قلنا أنه ليس مثبت.

- كلا . قلنا أنه متباين بين الأفراد.

إيفا : و هل هو مثبت بالنسبة لنا ؟.

- ليس تمامًا ، أعني لا أرجوه أن يكون.

إيفا : لماذا ؟.

- الإيمان به يُبين لي كم أنَّ رُوحِي هي الأسوأ بين الأرواح.

- الورع يفنى سريعًا.

إيفا : ماذا عن الما جن ؟.

- هذا يعيش طويلاً.

إيفا : لم ؟.

- تُغذيه آثامه.

- كان عليك قول ذلك باكراً حينما كنت أعوز شخصاً جواري.

إيفا: و الآن؟.

- الآن ما عدت بحاجة لأي شخص أو أي شيء ، لستُ أحتاج

سوى نفسي .. و لا أدري متى سأكف عن الحاجة لها هي أيضاً.

- للمحامي دور مهم كما للقاضي.

إيفا: كيف؟.

- يساعد القضاة.

إيفا: في كشف الحقيقة.

- لا . في تحقيق العدالة.

إيفا: ماذا عن الحقيقة؟.

- وظيفة المحامي تحقيق العدالة دون أن يأبه بالحقيقة.

إيفا : لا أهمية للحقيقة ؟.

- بالضبط.

إيفا : لماذا ؟.

- ليست كل حقيقة عادلة كما تعلمين.

إيفا : بمفهوم المخالفة ليس كل باطل ظالم.

- ليس كل مذنب ظالم.

إيفا : و لا كل بريء عادل.

- قد يكون المذنب عادلاً.

إيفا : أو يكون البريء ظالماً.

إيفا : ماذا لو أمكنك العودة بالزمن ؟.

- أعود قطعاً.

إيفا : إلى ماذا تحديداً ؟.

- إلى ما هو أبعد من أيامي الأولى.

إيفا : ما كان ولا يمكن أن يكون ؟.

- إلى أبعد من ذلك.

إيفا : إلى ماذا ؟.

- أعود إلى اللا عودة ، حيث أعرثر على أحاديثا مبهمّة و أناسا
أجهلهم .

أعود ليقيني الماضي حين لم كن ، و أنا واثقة ألا وجود لي في
حاضري كما في ماضي .

أعود إلى الأمل ، أمل تكوُّني في المستقبل ، أنا من لم أوجد في زمنين
، لعلّي - أتيت بها من التمني - أقول لعلّ يكون لي حضوراً
مستقبلياً .

بإيجاز: أعود إلى ما لم يكن ويمكن أن يكون.

سندرك حقاً أننا أحياء حين نتخلص من إيفا ، ويصير بالإمكان
أن نقول ما نشاء إلى من نشاء ، وقتها وحيثما وكيفما نشاء.

طبقاً لقوانين الملكية الفكرية

يُحظر نقل أو نسخ أو بيع المصنف بالكامل أو أي جزء من أجزائه وبثه إلكترونياً (للمكتبات الإلكترونية أو الأقراص المدمجة أو أي وسيلة أخرى) ، دون الحصول على إذن كتابي من المؤلف.